

شعرية التكرار ودلالاته في شعر ابن الرومي

The motives of repetition in the poetry of Ibn Rumi

الباحث هشام زميت *

الأستاذ الدكتور مولود بغورة *

تاريخ النشر: 2021 / 03 / 30

تاريخ القبول: 2020 / 10 / 10

تاريخ الإرسال: 2020/07/25

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن ظاهرة التكرار في شعر ابن الرومي ، وطبيعة هذه الظاهرة وكيف وظّفها الشاعر توظيفًا بنائيًا دقيقًا ، لتُصبح أداةً فنيّةً وجماليّةً تخدم النصّ الشعري من جهة ، وتكوّن سياقات شعرية قادرة على تجسيد تجربة الشعر والتعبير عن نفسية الشاعر وأفكاره وهمومه إضافة إلى دورها في التأثير على المتلقي وجذب انتباهه ودورها في تنامي القصيدة وشحنها بالدق الإيقاعي المخصّب للشعرية. تدور هذه الدراسة حول تكرار: الحرف ، كلمة ، عبارة ، وحتى مقطع ، معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الجمالي الذي يحاول أن يبرز المستوى الفني في بناء هذا الشعر .

الكلمات المفتاحية: التكرار، الشعر، ابن الرومي، الشعرية ، الدلالة.

Abstract:

This research aims to reveal the phenomenon of repetition in Ibn Roumi's poetry, the nature of this phenomenon and how the poet employed it in a careful, constructive employment, to become an artistic and aesthetic tool that serves the poetic text and expresses the poet's psyche, thoughts, and concerns and has a role in influencing the recipient and attracting his attention.

المؤلف المرسل: هشام زميت Zemmit01@gmail.com1. *جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله _ Zemmit01@gmail.com2. * جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله _ mbeghoura@hotmail.fr

This study revolves around repetition: the letter, word, phrase, and even syllable depending on the descriptive analytical method and the aesthetic approach that attempts to highlight the technical level in building this poetry

Key words: repetition, poetry, Ibn Al-Roumi, poetic, indicative.

*** **

مقدمة:

تعدُّ ظاهرة التكرار من أهم وأبرز الظواهر الأسلوبية التي لجأ إليها الشاعر العربي القديم عند بناء نصّه الشعري ؛ وذلك لما له من دورٍ جليٍّ في الكشف عن الأبعاد الدلالية التي يُعنى بها الشاعر ويرغب في إيصالها للمتلقّي ، إضافةً إلى دورها في إخصاب شعرية النص والعمل على تلاحم أجزائه وتماسكه حين يحسُن الشاعر توظيفها واستخدامها ، وإلا فإنّها تصبح عبئاً على النص وتفقده الكثير من جمالياته الفنية ، ويُعدُّ ابن الرّومي واحداً من أبرز الشعراء الذين لجأوا إلى توظيف هذه الظاهرة في شعرهم ، إذ أنّ وقفةً مع ديوانه الشعري الضخم والتّريظ لربنا بروز هذه الظاهرة وحضورها في شعره بشكلٍ واضحٍ لا يمكن تجاهله ، وهذا ما دفعني إلى دراسة هذه الظاهرة في ديوانه ، وهنا أودّ الإشارة إلى أنّي لم أعتز على دارسة تناولت ظاهرة التكرار في شعر ابن الرّومي بشكلٍ خاص ، بالرغم من كثرة الدّراسات التي تناولت جوانب من شعره.

وقد حاولت في بحثي هذا أن أكشف عن شعرية التكرار ودلالته وأنماطه المختلفة في الديوان ، فجاء في مبحثين ، الأوّل تناولت فيه - بإيجاز - التعريف بالشاعر، مفهوم التكرار ، مفهوم الشعرية وموقف النقاد من التكرار. أمّا المبحث الثاني فقد وقفت فيه على أنماط التكرار وهي : تكرار الحروف ، وتكرار الكلمات ، وتكرار الجمل أو العبارات وقد التزمت في هذا البحث بالمنهج التحليلي في دراسة شواهد التكرار ونماذجه ، مستعينة بالمنهج الجمالي في إلقاء الضوء على دور التكرار في صياغة النص الشعري وإنتاجه ، وهنا أشير إلى أنّي لم آت على كلّ ما ورد في الديوان من شواهد للتكرار ؛ لأنّ هذا الأمر ليس من أهداف هذا البحث ، وإنّما انصبّ اهتمامي على جملة من النماذج المختارة التي أعتقد أنّها قادرة على الكشف عن شعرية التكرار وكيفية توظيفها في ديوان ابن الرّومي.

2. تمهيد

يعد ابن الرومي شاعراً بارزاً من شعراء العصر العباسي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، ولد سنة (221هـ - 273هـ = 836-896م). في بغداد، من أب رومي وأم فارسية. ونشأ في بغداد وأخذ بحظّ وافر من ثقافة عصره الأدبية واللغوية والدينية والعلمية والفلسفية^(١). وإن كانت مصادر أدبية قديمة وهامة جداً أغفلت ابن الرومي تماماً، نذكر منها على سبيل المثال، "عيون الأخبار" و"كتاب الشعر والشعراء" لابن قتيبة و"كتاب الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني. أما المحدثون فقد خصّوا شاعرنا بمؤلفات عدّة، أقدمها وأشهرها "ابن الرومي: حياته من شعره" لعباس محمود العقاد^(٢).

يتوزع شعره في مصدرين اثنين، هما: ديوانه الضخم، نظم ابن الرومي 2041 قصيدة ومقطوعة تحوي 30621 بيتاً، وقد أتى فيها على حروف الروي جميعها. وكُتِبَ الأدب واللغة والتاريخ. وسنقف في بحثنا هذا عند شعرية التكرار في شعر ابن الرومي، في ضوء الدراسة الوصفية التحليلية.

إنّ الدّارس لأساليب العربيّة قديمها وحديثها يلاحظ بجلاء أنّ للتكرار بواعثاً وأغراضاً كثيرة ومتعدّدة، وقد يخفى بعضها عن الكثير من النّاس لكنّها لا تخفى عن النّاقّد المتمرّس بفنون القول، والأديب الحصيف الذي له إطلاع واسع على أسرار العربيّة وخفاياها.

وإذا ما عدنا إلى تعريف التكرار لغة: "هو مصدر الفعل كَرَّرَ أو كَرَّرَ يقال كَرَّه كَرَّه وكَرَّ بنفسه يتعدّى ولا يتعدّى والكُرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كَرّاً وكُروراً وتَكُرّاراً عطف وكَرَّ عنه رجع وكَرَّ على العدو يَكُرُّ ورجل كَرَّار ومكَّر وكذلك الفرس وكَرَّر الشيء وكَرَّره أعاده مرة بعد أخرى والكِرَّةُ المَرَّةُ والجمع الكِرَّات ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرَّكْرْتُهُ إذا رَدَدْتُهُ عليه وكَرَّكْرْتُهُ عن كذا كَرَّكْرَةً إذا رَدَدْتُهُ والكُرُّ الرجوع على الشيء ومنه التَّكْرار"^(٣). وزاد كلُّ من الرَّمخسري، والفيروزآبادي: «نَاقَةُ مِكرَّةٍ وَهي الَّتِي تَحْلِبُ في اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ"^(٤): و"التكرار" مصدر كَرَّرَ أو كَرَّ "الكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلُ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَزْدِيدٍ"^(٥)

أما من حيث الاصطلاح فقد وردت له تعريفات عدّة: فهو عند ابن الأثير (ت 637هـ): "دلالة اللفظ على المعنى مردّداً"^(٦). ويعرفه ابن أبي الأصبغ المصري (ت 654هـ)، بقوله: "أن يكرّر المتكلم اللفظة الواحدة؛ لتأكيد الوصف، أو المدح، أو الذم، أو

التَّهْوِيل ، أو الوعيد ...⁽⁷⁾ ، وحقيقة التكرار عند ابن القيم : " أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده ، سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا ، أو يأتي بمعنى ، ثم يعيده "⁽⁸⁾ .
ويقول عنه الجرجاني (ت 816هـ) : " عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد أخرى "⁽⁹⁾ . أمّا عند ابن معصوم (ت 1120هـ) فهو : " تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة ، ونُكته كثيرة : منها التوكيد ، كقوله آثَلَا كَلَّا سَوَفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوَفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ التكاثر: ٣ - ٤ ، وزيادة التنبيه ، كقوله آثَلَا رَأَاهَا تَهَنَّزُ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ غافر: ٣٨ - ٣٩ . وزيادة التوجع ، والتّحسر ، والتَّهْوِيل ، والتلذذ بذكر المكرر "⁽¹⁰⁾ ، " والنكتة التي أشار إليها ابن معصوم وثيقة الصّلة بالجانب التأثيري ، الذي يكونه التكرار ، وفيها إشارة إلي أهمية التكرار ، فأعطاه بُعدًا وظيفيًا متّصلاً بالموقف الشعوري والوجداني ، وهذا البعد يشكل ظاهرةً أسلوبيةً يركّز عليها العمل الأدبي وهذا ما أشار إليه موسى ربابعة "⁽¹¹⁾ وبعد أن وضّحنا مفهوم التكرار لغة واصطلاحًا ، يجدر بنا الآن أن نعرّج على مفهوم الشعريّة .

الشعريّة:

يقصد بالشعرية: (Poétique) كل نظرية داخلية للأدب⁽¹²⁾ . وقد تعني الشعرية أيضا تلك الاختيارات الأدبية والأسلوبية والبلاغية والتصويرية والموضوعاتية والتأليفية التي يختارها المبدع في التعبير والكتابة عن الذات والموضوع معا كشعرية مالارمي ، أو شعرية فيكتور هيجو ، أو شعرية أدونيس ، إلخ⁽¹³⁾ . وقد يقصد بالشعرية كذلك مجموعة من القواعد والقوانين المعيارية التي تحتكم إليها مدرسة أدبية وفنية ما . ويبقى المفهوم الأول هو المفضل في تعريف البويطيقا ، على أساس أن الشعرية عبارة عن القوانين والمكونات والسمات التي تميز فنا أدبيا عن باقي الفنون والأجناس والأنواع الأدبية الأخرى⁽¹⁴⁾ .

وعليه ، فموضوع الشعرية هو الاهتمام بما يميز نصًا أدبيًا عن باقي الخطابات الأخرى . بمعنى أن الأدب يتميز بالوظيفة الجمالية التي تقوم على إسقاط المحور الدلالي

على المحور التركيبي. ومن ثم، تهتم الشعرية برصد الثوابت البنيوية التي تخصص النص الأدبي مقارنة بالنصوص والخطابات الإبداعية الأخرى.

موقف النقاد من التكرار:

ترى الناقدة نازك الملائكة أنَّ التكرار: "إلحاحٌ على جهةٍ هامةٍ في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها".⁽¹⁵⁾ وهذا الإلحاح هو ما نقصد به التعداد والإعادة ، كما ترى الناقدة " أنَّ التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه"⁽¹⁶⁾

وترى نازك الملائكة أنَّ القاعدة الأولية للتكرار هي: " أنَّ اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام وإلا كان لفظة متكلفة لا سبيل إلى قبولها ، كما أنه لا بد أن يخضع لكل ما يخضع له الشعر عموماً من قواعد ذوقية وجمالية وبيانية"⁽¹⁷⁾ واستطاع محمد السعدني أن يدرس هذه الظاهرة بدقة كبيرة ، بدءاً من تكرار الأصوات ، كتكرار (الصّوامت والحركات والحروف) ، وتكرار الكلمات ، وانتهاءً بتكرار التراكيب والصّور والرموز"⁽¹⁸⁾ ومن النتائج التي خلص إليها يقول: " يلجأ الشاعر المعاصر إلى التكرار ليوظفه -فنيّاً في النصّ الشعري المعاصر ، لدوافع نفسية ، وأخرى فنية ، أما الدوافع النفسية فإنّها ذات وظيفة مزدوجة ، تجمع الشاعر والمتلقي على السواء ، فمن ناحية الشاعر يعنى التكرار الإلحاح في العبارة على معنى شعوري ، يبرز من بين عناصر الموقف الشعري أكثر من غيره ... ومن ناحية المتلقي يصبح ذا تجاوب يقظاً مع البعد النفسي للتكرار من حيث إشباع توقعه ، وعدم إشباعه ، فتثري تجربته بثراء التجربة الشعرية المتفاعل معها ، وتكمن الدوافع الفنية للتكرار في تحقيق النغمية والرمز لأسلوبه ، ففي النغمية هندسة الموسيقى التي تؤهل العبارة ، وتغني المعنى"⁽¹⁹⁾

ويذهب محمد صابر عبيد في كتابه " القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية " إلى أنَّ التكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره ، فنجد في الموسيقى بطبيعة الحال ، كما نجده أساسياً لنظرية القافية في الشعر ، وسرّ نجاح الكثير من المحسنات

البديعية كما هو الحال في العكس والتفريق والجمع مع التفريق ورد العجز على الصدر في علم البديع العربي".⁽²⁰⁾

ويرى لوتمان أنّ التكرار في الشعر "مما ليس منه بدأ وليس عنه غنى فهو فيه – قديماً وحديثاً – سمة كالجوهر ملازمة ، ومظهر كالركن دائم لا يستقيم قول شعري إلا به ، ولا تتحقق طاقة شعرية دونه ، ولا يصلح للقصيد نسب إلى الشعر إلا بتوقّره ، لذلك عدّ عند أغلب الدّارسين – وإن اختلفت تعبيراتهم عن ذلك- من أبرز مقومات الشعر ومن ثوابت القصيد"⁽²¹⁾

فالتكرار ظاهرة ، أسلوبية لافته ونسقٌ تعبيريّ مهمٌ يؤثّر على المستويين الصّوتي ، والدّلالي ، فهو أحد أهم عناصر التبليغ وطرق الأداء في الشعر العربي القديم والمعاصر ، كما أنّه وسيلةٌ فعالة في توضيح المعاني وترسيخها في الأذهان وتوصيلها إلى المتلقي "إنّه تجلية للمعنى وتزكية له ، أو رغبةٌ من الشّاعر في التّوكيد والتّفصيل ، ومن ثمّ تنمية المعنى وبلورته"⁽²²⁾ ومن ثمّ فهو ظاهرةٌ مميّزةٌ تستحقّ الدّرس والتحليل للكشف عن الوظيفة التي يؤدّيها في الخطّاب الأدبي.

ونأتي لابن الرومي لنرى مدى الشعريّة التي كانت تمتاز بها قصائده، من خلال ظاهرة التّكرار في شعره ، فسندرس أشكال التّكرار سواء أكان ذلك في الحروف، أم في الألفاظ، أم في التراكيب.

يقول الشّاعر:

يا أيّها الهارب من دهره قد أدركك الدهر على خيله..⁽²³⁾

يتكرر في هذا البيت حرف الهاء (6) مرات وهو حرفٌ حلقيّ يخرج من عمق الجهاز التنفسي وبقوّة معبّراً عن التّناهيذ وغصص الألم ، وعن معاناة الإنسان موحياً بشيء من الضيق والتعب الذي يبدو على شاعرنا " إذ يتخذ الفم عند النّطق بالهاء وضعاً يشبه الوضع الذي يتخذه عند النّطق بأصوات اللّين".⁽²⁴⁾ التي ترتبط بنفس عميق يوحي بالحزن والتأوه منسجماً مع البحر السّريع الذي يوحي بسرعة الرّكض هرباً

شعرية التكرار ودلالته في شعر ابن الرومي

من مصائب الدهر وتوحي "الهاءات" الكثيرة في هذا البيت بتقطع أنفاس الهارب ولهاثه وهو يركض وهنا تكمن قيمة الشعرية والدلالة في قوله:

سلام وريحان وزوخ ورحمة عليك وممدود من الظل سَجَسَج (25)

راح الشاعر ينثر دعوات متعددة شكّلها أربعة أسماء تتبع نسقاً واحداً وإيقاعاً موسيقياً موزوناً تأنس له النفس طرباً وبهجةً ، وهذه التكرارات المتلاحقة هي التي تعبّر عن مشاعر الشاعر الصّادقة ، والعاطفة الجيّاشة حيث اختار حرف الحاء وهو حرف مهموس ليعبّر عن حنينه وحبّه للمفقود ، فأدّى ذلك إلى انتشار الموسيقى في البيت كلّهُ إذ أنّ " للراء والحاء راحة في القلب تزداد بالتكرار وتمهد لما بعدها من الظل الممدود والتّضعيف المقبول في هذه القافية العصبية" (26)

ويتفنّن ابن الرومي كعادته في توظيف التكرار ليزيد المبنى وضوحاً والمعنى جمالاً من خلال قوله:

يَرُدُّعْنَهُ عُيُونُ الْحَاسِدِينَ لَهُ وَكَلَّ سَحَرٍ وَوَسْوَاسٍ وَخَنَاسٍ (27)

فبعد أن أتحفنا ابن الرومي بتكرار حرف الحاء يتفنن في تكرار حرف السين وهو حرف تنفيس ، استحسنه الشاعر لينحت به صورة الوسوسة والشعوذة ، فجاء الإيقاع في كلمة " الحاسدين ، سحر ووسواسٍ وخناسٍ " ، إيقاعاً متواصلاً وخفّة متتابعة زاد البيت متعة وجمالاً كما أضفى عليه التّونين غنةً وبهاءً .

وابن الرومي من الشعراء الذين بكوا بغداد وتأثّروا لمصابها حين أصابها كوارث التّهب والسلب والتّحريق حين هاجم الزّنج البصرة وفتكوا بأهلها فتكا ذريعاً فأشار في مرثيته إلى مصابها في قوله:

رَبِّ بَيْعٍ هُنَاكَ قَدْ أَرْخَصُوهُ طَالَ مَا قَدْ غَلَا عَلَى السَّوَامِ (28)

رَبِّ بَيْتٍ هُنَاكَ قَدْ أَخْرَجُوهُ كَانَ مَاوَى الضَّعَافِ وَالْأَيْتَامِ

رَبِّ قَصْرِ هُنَاكَ قَدْ دَخَلُوهُ كَانَ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ صَعْبَ الْمَرَامِ

ربّ ذي نعمة هناك ومال تركوه محالف الإعدام
ربّ قوم باتوا بأجمع شمس تركوا شملهم بغير نظام

يتسارع في هذه الأبيات النّغم ويتفتّى من خلال التّكرار بـ"ربّ" وهيّ" حرف جرّ عند البصريين، ومن النّاحية البلاغيّة يفيد التّقليل والتّكثير والزّاج أنّه يفيد التّقليل"⁽²⁹⁾ ولكنّ الصّحيح أنّ معنى ربّ في هذه الأبيات يفيد التّكثير، لأنّه يصلح أن تكون كم في كلّ موضع وقعت فيه ربّ وهذا ما قاله ابن مالك "واعلم أنّ "كم" في الخبر" لا تعمل إلّا فيما تعمل فيه ربّ لأنّ المعنى واحد."⁽³⁰⁾ فالشّاعر يكرّر حرف الجرّ "ربّ" لإيقاظ ذهن المتلقي وشحن الأبيات بطاقة دلالية تعبّر عن حالة استصراخ واستنفار لمحاربة الرّنج، وما هذا التّكرار لحروف الجرّ إلّا استنفاراً يكتظّ بالغيط والحنق الشّديد. أو مثّل عبّد الإله ذي الشّرف الـ بادّخ يلقى إلى العلّى سبّبه.⁽³¹⁾

كالسيف في نقد الصّرامة والرّ وعة لئن خلّيه أدبّه
كالغيث في الجود والتّبرّع والـ إطباق لئن صوّبه ذهبّه
كالبذر في الحسّن والنفخامة والرّ فعة لئن ضوّعه حسّبه
كالذّهر في النّفع والمضرة والـ حنكة لئن ربّيه عضّبه

فالشّاعر كرّر حرف الجرّ "الكاف" في صدر كلّ بيت (4 مرّات) وحرف الجرّ "في" (4) مرّات وكرّر الواو (8) مرّات، فتكرار الكاف جاء ليجدّد التشبيه ويقويه محتفظاً بيقظة القارئ كاملة" فالشّاعر يكرّر الكاف هنا ويؤثرها على واو العطف لأنّها تُجدّد التشبيه وتقويه محتفظاً له بيقظة القارئ"⁽³²⁾. ونجد في النّص الشعري أحيانا، ما يتكرر الحرف بعينه أو حرفان أو ثلاثة حروف بنسب متفاوتة في جملة شعريّة، فتكرار الحرف "إمّا أن يكون لإدخال تنوع صوتي يخرج القول عن نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه إيقاعاً خاصاً يؤكّده، وإمّا أن يكون لشدّ الانتباه إلى كلمة أو كلمات بعينها عن طريق تآلف الأصوات بينها، وإمّا أن يكون لأمر اقتضاه القصد فتساوت الحروف المتكررة في نطقها مع الدّلالة في التّعبير عنه"⁽³³⁾

تكرار الألفاظ

نجد شاعرنا يكثر من تكرار كلمة اللون الأبيض والذي عادة ما يرمز إلى العفة والبراءة والنقاء والسلام وقد وقع اختيارنا على هذا اللون لأن ابن الرومي استخدمه بكثرة ووظفه في أغراض متعددة كما نجد هذا في قوله :

حَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَ أَيَّامِهِنَّ الْـ بَيْضُ مَا خَلَّ مَفْرَقِي مِنْ بَيَاضٍ⁽³⁴⁾

وَيَحِقُّ تَجَهُمَ الْبَيْضِ بَيْضًا أَغْبَتْهُنَّ أَرْبَعُونَ مَوَاضِي

لَيْسَ بَيْضٌ مِنَ الْمَشْيِبِ رِثَاثٌ شَكْلُ بَيْضٍ مِنَ الْغَوَانِي بَضَاثٌ

وَرَفِيفُ السَّوَادِ كَالرَّشَقِ بِالنَّبِّ لِ ، وَلَوْحُ الْبَيَاضِ كَالْإِنْبَاضِ

إذ لا يخلو بيت من هذه الأبيات من ذكر اللون الأبيض الذي تكرر سبع مرّات فكلمة البيض الأولى يقصد بها الشّاعر أيام الشباب والفتوة أمّا البيض الثانية فيقصد بها حلول الشّيب برأسه، وقد فرّق هذا الأخير ما بينه وبين تلك الأيام الجميلة المحملة بروائح النسيم العطرة ، وأمام دورة الزمن يكون اللون الأبيض انهزامًا نفسيًا ، يعني الدّبول والوهن والإحساسُ بالضعف واليأس ، هذا الشّيب الأبيض الذي حلّ بالشّاعر يُنذر بالموت ويصبح أكثر قسوةً ونفيًا للإنسان أمّا السّواد هنا فهو بهاءٌ وجمالٌ وحيويّة تبعث الحياة وبريق الأمل

ونجد لفظ القافية يتكرّر في القصيدة بمعنى واحد في قول ابن الرومي في مدح علي بن الفياض في قوله⁽³⁵⁾:

فَقُلْتُ، وَمَقْلَتَايَ، حِيَاءٌ صَحْبِي تَذُودَانِ الْجَفُونَ عَنِ الْغُرُوبِ...ب8

حَطَطَنْ بِوَاسِطٍ مِنْ بَعْدِ سَبْعٍ وَقَدْ مَالَ الشَّرُوقُ إِلَى الْغُرُوبِ...ب23

وَجَاوَزْنَا قَرَى بِغَدَادَ حَتَّى دَلَّلَنْ عَلَيْكَ أَصْوَاتُ الْغُرُوبِ...ب38

تكرّرت لفظة الغروب في قافية القصيدة لكنّ اللفظة رقيقة غنائية و انسيائية إيقاعية ، تؤدّي دورها في عالم الشعر وفي البنية الشعريّة كما أنّها تحمل في كلّ بيتٍ دلالتها ففي البيت الأول لا يبعد عن المعنى المعجمي وهو دموع الشاعر أما في البيت الثاني فتحمل دلالة المغيب

فالغروب ، وفي البيت الثالث بمعنى المؤذنين. وقد أضفت المعاني على الأبيات مسحة جمالية ناهيك عن ترك الفسحة لذهن المتلقي لفتح أفق الخيال كما أنّ تكرار هذه القوافي المتجانسة باختلاف معانيها تشهد لشاعرنا بالبراعة في اللغة والتّمكّن في البديع و إطلاق العنان لسعة الخيال.

ومن جميل تكرار الألفاظ عند ابن الرّومي قوله في مقام التّحدّي:
 أرني صَدِيقًا لَا يُنْوِئُ بِسَقَطَةٍ مِنْ عَيْبِهِ فِي قَدْرِ صَدْرِ نَهَارٍ (36)
 أرني الَّذِي عَاشَرْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مُتَغَاضِيًا لَكَ عَنْ أَقْلٍ عَشَارِ

تكرّر الفعل (أرني) في صدر كلّ من البيتين توزّع بساطاً من شعريّة ، وهو راجع إلى حبّ الانتصار لدى الشّاعرووضع الآخرين في مكان العجز ، "وقد يكون مع ابتداء الحكم لقطع المتكلّم على المخاطب من أول الأمر سبيل الشّك أو النّقض ، وقد يكون استجابة لثورة النّفس تحقيقاً للذّات وإباء للإهانة" (37) ، فيقف ممّن يتأتّى خطابه موقف التّحدّي والتّعجيز ، ويكرّر الفعل (أرني) مرّتين ، كالواثق من صدق حكمه ، محاولة منه للإيقاع بالمخاطب في اعتقاده ، وينسيه أن ينظر في أناة لعلّه ينتصر على دعوى العجز والتّحدّي .

يقول من قصيدته يتذكر الشّباب:

أُبْكِي الشَّبَابَ لِئِنْفُسٍ كَأَن يُسْعِفَهَا بِكُلِّ مَا حَاوَلْتَهُ مِنْ مَلَاهِيهَا (38)
 أُبْكِي الشَّبَابَ لِأَمَالٍ فَجَعْتُ بِهَا كَأَنِّي لِنَفْسِي أَنَسَا فِي مَعَانِيهَا
 أُبْكِي الشَّبَابَ لِئِنْفُسٍ لَا تَرَى خَلْفَهَا مِنْهُ وَلَا عَوْضًا مُدَّ كَأَن يُرْضِيهَا
 أُبْكِي الشَّبَابَ لِعَيْنٍ كُلِّ نَظَرَهَا بَعْدَ الثَّقُوبِ وَحَارِ الْقَصْدِ هَادِيهَا
 أُبْكِي الشَّبَابَ لِأَذْنٍ كَأَن مَسَمَعَهَا وَقَدْ يُجَابُ عَلَى بُعْدِ مُنَادِيهَا
 أُبْكِي الشَّبَابَ لِكَفِّ مَنْ سَاعَدَهَا وَقَدْ تَرَدُّ وَتَلْوِي كَفِّ لَاوِيهَا

يتراسل التّكرار محمّلاً بالقيمة الزّمنيّة والشّحنة العاطفيّة الّتي أشهّرت دوام القضية في الكتابة ، وبين مشاعر البوح ، الّتي تكشف عن دلالات لا تتحكّم فيها

أيقونات اللغة ، حيث تتكرر صيغة (أبكي) ست مرّات في الزّمن المضارع بطريقة متوازية ومنظّمة يقابله تواز آخر في تكرار القافية بطريقة قلقة مضطربة تشبه حركة الحروف ، إذ كرّر (بها) في نهاية كلّ كلمة في القافية وما يلفت انتباهنا هنا هو تكرار حروف الشيب والشباب حيث كرّر لفظة الشّباب (6) مرّات في حرقه وجد ، ولوعة حنين وفقد ، حتّى لا يكاد القاريء يقنع بقصيدته بأقل ما قدّمته بين يديه فجاء هذا التّوازي التكراري أصدق اتصالاً بأعماق الوجدان ، وألصق أصالة ببلاغة العبارة ولهذا كان اهتزازنا لروعته وفق شحنةٍ شعريّة متواصلة متألّفة .

إنّ تكرار الفعل المضارع في بداية الأبيات ولّد انسجماً دلاليّاً وإيقاعيّاً ، وحمل في طيّاته أبعاداً إيحائيّة تُعبّر عن الموقف التّفنسي الذي يعيشه الشّاعر " فلموقف هو الذي يفرضُ على المرء أن يختارَ الأسلوبَ ، والأسلوب بحدّ ذاته قادراً على أن يبلورَ الموقف " (39). ولأنّ تكرار الأفعال يلعب دوراً هامّاً في تواشج النّص وتماسكه وجعله نسيجاً واحداً وتفتح ذهن المتلقّي في تخيل المواقف وفتح المجال للتأويل يوظّفها ابن الرّومي في قصائده ليعثّ الحركة فيها .

تكرار العبارة :

" إذ يعمد الشّعراء لتكرار جملة بعينها ، لإشاعة لون عاطفي يقوّي الصّورة التي عليها بنيت القصيدة " (40) كتكرار جملة " لهف نفسي " في رثاء البصرة:

لهف نفسي عليك أينّها البصر	رّة لهفأ كمثّل لهب الضّرام (41)
لهف نفسي عليك يا معدن الخيـ	رات لهفأ يُعضّني إبهامي
لهف نفسي يا قبّة الإسـ	لام لهفأ يطول منه غرامي
لهف نفسي عليك يا فرضة البلـ	دان لهفأ يئقى على الأعوام
لهف نفسي لجمعك المتفاتي	لهف نفسي لِعزّك المُستضام

نلاحظ في هذه الأبيات كيف قصد الشّاعر إلى تكرار عبارة " لهف نفسي " ستّ مرّات متتاليات في بداية كل بيت من أجل اللفتة والتّحسّر على البصرة وأهلها ، هي إذن صرخة داخلية ينفس بها الشّاعر عن أوجاعه وآلامه وأهاته المكبوتة بالزّفّرات فكثرة

اللهفة دلالة على عظم الملهوف عليه " مدينة البصرة ، معدن الخير ، قبة الإسلام ، فرضة البلدان " فمجرد الذكرى والتذكّر لما فعله الرّوج بالبصرة كفيل بأن يشعل القلب ، وجعاً ، وألماً ، وحرقة وكمدا ، فإنغام أهل البصرة وإذلالهم واحتقارهم واستحياء نسائهم وبيع رجالهم يؤلم القلب ويبعث المرارة في النّفس.

ويلجّ شاعرنا على تكرار الأشرطة في بداية كلّ بيت ليؤكد على فكرة العجب والتّعجب من الدّهر فيقول:

وَيَا عَجَبًا، وَالذَّهْرُ جُمَّ عَجِيْبُهُ أَيْسُرُ مَاءٍ حَيْنٍ لَا تُسْكِرُ الْخَمْرُ⁽⁴²⁾
وَيَا عَجَبًا، وَالذَّهْرُ جُمَّ عَجِيْبُهُ أَيْبُتُ طُلٍّ حَيْنٍ لَا يَنْبُتُ الْقَطَرُ
وَيَا عَجَبًا، وَالذَّهْرُ جُمَّ عَجِيْبُهُ أَيْقَمُ نَجْمٍ حَيْنٍ لَا يَقْمَرُ الْبَدْرُ
وَيَا عَجَبًا، وَالذَّهْرُ جُمَّ عَجِيْبُهُ أَتُبْهَرُ نَارَ حَيْنٍ لَا يَبْهَرُ الْفَجْرُ

يوظّف شاعرنا في هذه الأبيات تكرار الأشرطة التي تركّز المعنى وتؤكدّه ويسهم بما يوفّره من دفع غنائيّ في تقوية النبذة الخطابية، وتمكين الحركات الإيقاعية، من الوصول إلى مراحل الانفراج وما تحمله من مشاعر، تجاه الحياة ومفارقاتها "إن للتكرار وظيفة هامة، تخدم النظام الداخلي للنصّ وتشارك فيه لأنّ الشاعر يستطيع، بتكرار بعض الكلمات أن يعيد صياغة بعض الصور من جهة، كما يستطيع أن يكتفّ الدلالة الإيحائية للنصّ من جهة أخرى"⁽⁴³⁾

وفي الأخير ننهي هذه الدّراسة بالنتائج التّالية:

1. جنح ابن الرّومي إلى توظيف ظاهرة التكرار بألوانها الثلاثة معتمداً عليه في تقوية المعنى وتأكيدّه وبلاغته.
2. استطاع الشاعر في صياغة قصائده أن يجعل من التكرار صورة قائمة على شعريّة فنيّة متميّزة وممتعة.
3. لم يكن التكرار في شعر ابن الرّومي مجرد عمليّة مبتذلة بل كان ذو لمسات إيقاعيّة وبيانيّة ، من خلالها استطاع الشّاعر أن يثير المتلقّي ويستفزّه.

شعرية التكرار ودلالته في شعر ابن الرومي

4. عملية التكرار في شعر ابن الرومي باتت مقصودةً بصياغةٍ فنيةٍ إيقاعيةٍ شكّلت طاقةً شعريةً ونظامًا داخليًا أصبح جزءًا من بنية القصيدة.
5. يُعدّ التكرار في شعر ابن الرومي صورةً لافتةً ، فهو يخفّف من وتيرة الصّراع الدّاخلي الذي يعيشه الشّاعر .
6. لم يكن التكرار عمليّةً ثرثرة بل كانت ذات دلالات موحيةً ، وعميقةً.
7. إنّ عمليّة التكرار في شعر ابن الرومي خلقت تشكيلاً إيقاعياً تناغمياً ، بين تكرار اللفظة ودلالاتها هذه الأخيرة حملت دلالات شعوريةً تثير وتستفز وجدان المتلقي .
- كانت هذه أهم النتائج والأهداف التي توصّلنا إليها من خلال هذه الدّراسة .

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس : ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية . 1979
2. ابن أبي الأصبع المصري ، أبو محمد زكي الدّين عبد العظيم بن عبد الواحد ، (ت 654) ، تحرير التّحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز (دت)
3. ابن الأثير ، ضياء الدّين (ت 637هـ) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر . 1939
4. ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (896/283) ديوانه ، تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 2003
5. ابن القيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، لبنان . (دت)
6. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، دار إحياء الثّراث العربي ، بيروت ، لبنان . 2003
7. ابن معصوم المدني ، علي صدر الدّين (ت 1120هـ) ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، تح : هادي شاكّر شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف . 1969.
8. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم: (تـ 711 هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت . (دت)
9. الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد بن علي ، (ت 816) ، كتاب التعريفات، تحقيق نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصوير، القاهرة. 2007
10. الحسن بن قاسم المرادي : الجنى الدّاني في حروف المعاني، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان. 1962
11. ربابعة ، موسى ، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي ، دار الكندي للنشر والتوزيع ،الأردن . 2001
12. الزمخشري ، أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ) ، أساس البلاغة : تح : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت . 1982
13. عبد الله الطيّب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ط2 ، مطبعة حكومة الكويت . 1989
14. عز الدين ، علي السيد: التكرير بين المثير والتأثير ، عالم الكتب، بيروت، لبنان. 1987
15. العقاد، عباس: ابن الرومي: حياته من شعره ، دار الهلال ، القاهرة . 1969
16. عياشي منذر : - مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. 1990

17. الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، (ت817هـ) ، القاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت . 2005
18. محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، الجامعة التونسية ، طبعة تونس. 1981
19. محمد صابر عبيد : القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، إتحاد الكتب العرب ، دمشق 2001.
20. مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف ، (دط) ، مصر.(دت)
21. منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب ، مركز الإنماء الحضاري . 2002.
22. نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، دار النضام. 1965
23. يارد، نازك سابا: كل ما قاله ابن الرومي في الهجاء. دار الساقى ، لندن . لندن. 1988
24. يوري لوتمان : تحليل النص الشعري ، بنية القصيدة ، ترجمة محمد فتوح، دار المعارف ، دط ، بيروت 1995.

المراجع باللغة الفرنسيّة:

25. Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov: 1972 Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Points, 2ditions du Seuil.

-
- (1)- ينظر، يارد، نازك سابا: كل ما قاله ابن الرومي في الهجاء، لندن، دار الساقى، ط1، 1988. ص10.
 - (2)- ينظر: العقاد، عباس: ابن الرومي: حياته من شعره ، دار الهلال ، القاهرة ، 1969. ص78.
 - (3)- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: (ت711 هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت ، (دط) ، (دت) ، مادة (كز).
 - (4)- الزمخشري، أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر (ت538 هـ) ، أساس البلاغة : تح : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، 1982 مادة (كز) وينظر: الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، (ت817هـ) ، القاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط8، 2005، مادة (كز)
 - (5)- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص872.
 - (6)- ابن الأثير، ضياء الدين ، (ت637هـ) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ج2، ص157.

- (7)- ابن أبي الأصبع المصري ، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد ، (ت 654) ، تحرير التّحبير في صناعة الشعر والنثروبياإعجاز القرآن ، تج ، حنفي محمد شرف ، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) ، ج 2 ، ص 375.
- (8)- ابن القيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، لبنان (د.ت)، ص 111.
- (9)- الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد بن علي ، (ت 816) ، كتاب التعريفات، تحقيق نصر الدين تونسلي، شركة القدس للتصوير، القاهرة، ط 1، 2007م، ص 113.
- (10)- ابن معصوم المدني ، علي صدر الدين (ت 1120هـ) أنوار الربيع في أنواع البديع ، تج : هادي شاكر شكر، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، 1969م ، ج 5، ص 345-352.
- (11)- موسى ، ربابعة ، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي ، دار الكندي للنشر والتوزيع ،الأردن ، ط 1، 2001 ، ص 14.
- 12- Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Points, 2ditions du Seuil, 1972, p: 106.
- 13- Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, p: 106.
- 14- Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov: Ibid, p: 106.
- (15)- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، دار التّضامن، ط 2، 1965 ، ص 242.
- (16)- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، دار التّضامن، ط 2، 1965 ، ص 242.
- (17)- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، ص 31.
- (18)- ينظر مصطفى السعدني : البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف ، (دط) ، مصر ، ص 147/171.
- (19)- السعدني مصطفى : البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، 173/172.
- (20)- محمد صابر عبيد : القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، إتحاد الكتب العرب ، 2001 ، دمشق ، ص 15.
- (21)- يوري لوتمان : تحليل النصّ الشعري ، بنية القصيدة ، ترجمة محمد فتوح، دارالمعارف ، دط ، 1995 ، بيروت ، ص 63.
- (22)- محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشّوقيات ، طبعة تونس، الجامعة التّونسيّة ، 1981، ص 64.
- (23)- ابن الزّومي ، الديوان ، ج 5 ، ص 1931.

- (24)- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5/ 1979 ص88.
- (25)- ابن الرومي : الديوان ، تحقيق حسين نصار، ج 2 ، ص 494.
- (26)- العقاد،عباس: ابن الرّومي حياته من شعره ، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب العربي، ط6، 1967م، ص334.
- (27)- ابن الرومي : الديوان ، تحقيق حسين نصار، ج 3 ، ص 1199.
- (28)- ابن الرومي : الديوان ، تحقيق حسين نصار، ج 6 ، ص2377.
- (29)- الجني الدّاني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المرادي ، ص 438 / 439 ، .
- (30)- المصدر نفسه ، ص ، 445/446.
- (31)- ابن الرومي : الديوان ، ج 1 ، ص312.
- (32)- نازك الملائكة ، قضايا الشّعر المعاصر ، ص239.
- (33)- منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب ، مركز الإنماء الحضاري ، ط1، 2002، سوريا ، ص78.
- (34)- ابن الرومي : الديوان ، تحقيق حسين نصار ج4، ص 1387/1388.
- (35)- ابن الرومي : الديوان ، تحقيق حسين نصار، ج 1 ، ص 326.
- (36)- ابن الرومي : الديوان ، تحقيق حسين نصار، ج3، ص1038.
- (37)- عز الدين علي السيد: التكرير بين المثير والتأثير، ص131.
- (38)- ابن الرومي : الديوان حسين نصار ، ج 6، ص2644.
- (39)- موسى ربابعة : التكرار في الشّعر الجاهلي ، دراسة أسلوبية ص31.
- (40)- عبد الله الطّيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ط2 ، مطبعة حكومة الكويت ، 1409هـ / 1989م ، ج2 ، ص 90.
- (41)- ابن الرومي : الديوان ، تحقيق حسين نصار، ج6، ص 2375 وما بعدها.
- (42)- ابن الرومي : الديوان ، تحقيق حسين نصار، ج3، ص 1122.
- (43)- عياشي منذر 1990: . مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 1 دمشق، ص 83.